

# مناقشات

## قصائد العدد الماضي من الاداب

بقلم حسين صعب

كيف والى ابن يسير في ذلك الجوالخاق . وفجأة تستفيق في اعماقه اصوات الريف تدعوه للعودة الى الطهارة والى البراءة ، فيحس بالحياة تجري من جديد في اعماقه لكنها سرعان ماتخبو فقاعة صفراء من زيد اشوارع ، ويظل في حالته القاتلة تلك « كاشيح المخدر عبر دنيا من قبور » يعج في راسه صرير القطار المرعب ، هذا المضمون بحيويته وتمدده احمضته الفاظ ثرية مطعاه ، لفظة « كابوس » في « لا درب لي ، لا سقف يفرش ظله حولي ، وكابوس الهجير - رقطاء تبلمني ، تمزقني وتفتني على سام الرصيف ) ترمز الى وطاة الهجير في المدينة ، والى الضيق الذي يعانيه انسانه المشرد ، وقد انتقل في تعبيره عن ضغط الظهيرة واثرها في نفسه ، الى وصفها « برقفا » ولم يستعمل هذه اللفظة الا ليمق احساسنا بحدة معاناه لما تثيره فينا هذه اللفظة من احساسيس مرجفة . وتتابع الافعال ، يبلع ، يفت ، يدل على المراحل الحانقة التي مر بها الشاعر الطفل حتى استحاله الى شيء تافه بارد « كرماد منفضة الخريف » بعد ان امتص منه ارهاق تلك الحالات المتلاحقة قوته ولونه . ويصور لنا الشاعر يقظة نفسه واستجابتها لصوت القرية المتوجة بالنعيم بالفاظ عميقة الدلالة ملائمة لحالة النفس المتفتحة في تذكراها لصفاء الريف :

ويهز صوت الريف اعماقي فاشعر بالحياه  
فجرية الانداء ، خضراء الاماج ، بالنعيم متوجه  
من داخلي تنداح كالعطر المخبا في عروق بنفسجيه

ان فعل « يهز » يصور حركة الصوت واثره في ذاته الهائمة . ولفظة « بنفسجية » ترمز الى طهره وصفاء سيرته . وتشير « اطل » التي ختم بها الشاعر قصيدته الى ديومته المعنى واستمراريته . وهي لكثرة استعمالها كما اشارت الاديبة نازك الملائكة تشكل ظاهرة في شعرنا الحديث . وقد استخدمها السياب في نهاية قصيدته الطويلة « حفار القبور » :

وتظل انوار المدينة وهي تلمع من بعيد  
ويظل حفار القبور

ينأى عن القبر الجديد

متشر الخطوات يحلم باللقاء وبالخمور

كما استخدمها بلند الحيدري في نهاية قصيدته « الوداع » :

ويظل طيفك وهو يومي من بعيد بالوداع

واظل ازحف في صراع .

وليست الالفاظ غاية بحد ذاتها يترصدها الشاعر فينتقي منها الجميل المزوق يتلاعب به في بناء القصيدة فرحا بالوانه وموسيقاه كما فعل امين سنار في قصيدته « رمز لا يوح » حيث حشد في تعبيره عن حبه ، جميع الفاظ الفزل وصوره فتحوط القصيدة الى هياكل لفظية مزخرفة تبهر ابصارنا وترن في اذاننا دون ان تدخل الى قلوبنا ، باقات شوق - نجمة من رفيفاتنا الشاهرات - جناح حنين - نسمة حب - يا نجمة الحب كوني لنا هادية - يزغر ، يخفق ، يحيا ، يحب - شمس الروابي الوليدة - تقبل روضي هوانا - تنسائي وروده - جادت عليه السماء باصفي غدير - مدت عذارى الربيع - فراش العبير - غنى له الصندليب - نشيد الحبور - الفراشات الساحرات الخ .. الى ما هناك من الالفاظ التي افقدتها الصنعة ايجاهها والصور السطحية المعنى الباهتة الظلال .

وخير ما يمثل تالف الشكل مع المضمون واتحادهما معا ، في وحدة عضوية ، قصيدة « باطائر الزيتون » لعلي الحلبي . وقد افساد

التجربة الشعرية ، عندما يكمل نموها ، بفعل مايفذيها من الغفلات مانجة عن مدى تاثر وجدان الشاعر بالاشياء والاحداث ، تصيح بحاجة الى جسد تنسفر فيه ، ينقلها من باطن الشاعر الى القارئ ، هذا الجسد هو اللفظ .

واختلاف التجارب في الاتجاه والعمق والانساع يقتضي اختلاف في الالفاظ التي تنقلها من التجريد ، في حالة المعاناة ، الى واقع ملموس عدل تجرية لها توب لفظي ينسجم مع نوعها ومدى وجزرها داخل مسالك النفس المضادة المظلمة .

من هنا نستنتج ان بين التجربة وثوبها الفني تفاعلا حيا وعلاقة صميمية ، فالنجزه تجهضها الالفاظ الفاصرة عن توصيلها ، والالفاظ تجعلنا نتاثر بملايسات ، فيما تثيره فينا من احساسيس ، تختلف عن الملابس التي تبعثها التجربة ذاتها .

وللفظة ايجاهها وموسيقاها وظلالها اذا كانت مفردة ، اما اذا انتظمت في العبارة فتصبح لها بالاضافة الى دلالتها الاصلية دلالة اخرى تقتضيها طبيعة التجربة ، ولا بد لنا هنا من ان نشير الى انه لا يمكننا ان نفرق بين التجربة واللفظ الا بالتجريد باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة ، ولكننا سنجزئ لانفسنا امكانية الفصل بينهما لتظهر ان نجاح القصيدة يتوقف على الانسجام الذي يحفقه الشاعر بين الشكل والمضمون بفضل الاصاله والنوق وقدرة الخيال على اختيار الالفاظ الملائمة .

واذا ما حاولنا ان نقد قصائد العدد الماضي من الاداب ، من حيث مهمة الالفاظ وطريقة استخدامها ، نجد ان قصيدة « كلمات خضراء » ذات مضمون زخم حار يعوق اثره في النفس كونه حادثة بطولية من حوادث الصراع الدامي بين العرب والاستعمار واعوانه انتهت باستشهاد الشاب المناضل جواد حسني فيما كان يلي نداء وطنه اثناء الاعتداء الفاشم على مصر . ولكن هيكل هذه القصيدة ، الفاظها وعباراتها ، لم يستطع ان ينهض بثقل هذا المحتوى مما ادى الى خنق كل توهج كان من الممكن ان تلفخنا به الحادثة نفسها . وقد شلت الالفاظ ، بتقلصها وانكماشها على ذاتها حركة ذلك المضمون وقضت على نموه ، فلجا الشاعر الى الفاظ تصلح للاستخدام في مختلف الحالات ، « مازلت » « ايساك » « ماذا » « اتراه » « لانجب » والى تكرار لفظة « مأساة » يتكئ عليها حينما يحس بتنافر اجزاء قصيدته كقوله :

مأساتها .. ذنب يشق بظلفه حجب النهايه

مأساتها .. الانسان حين يريد ان يحيا لغايه

مأساتها .. وانجاب صمت الليل والتهب الافق ..

وهناك سوء استخدام ، سببه القافية ، للفظة « حجر » ، فقد نعمت الشاعر ام جواد بالحجر مع العلم ان حالتها تلك في بحثها عن وحيدها كافية لجعلها كالوتر الذي يهتز لافل لسة ، وقد سيطر على القصيدة ، بجملتها ، اسلوب سردي تقريرى احوال نبضها الى جمود واغلاق دون تدفوقنا لها ابواب الجمالات التي تفتحها الالفاظ والعبارات الموحية كقوله :

ياواحدى مازلت عند الباب يحرقني الصجر

قل اي شيء يبعث الاحساس في هذا الحجر

ماغاب يوما هكذا الا وعاد

كان الشهيد يقولها بكياته ثم ارتمى ..

اما في قصيدة « الشيخ » فقد استطاع الشاعر ان يجعل الالفاظ منسجمة مع تجربته فيما يعبر عن ذاتيته الضائعة بين محيطين يختلفان مادة وجوها : محيط المدينة بسامه ونفوره وهجيرته ينثقه على الرصيف نقلا بلا اسم او وجه « يطوف لاهث الخطوات مختنق الضمير » لا يعرف

الشاعر من تأثير خصائص اللفظة والعبارة مما في تصوير حالة المجاهد الجزائري في السجن ، ومشاركته الوجدانية ، لا العقلية ، لتورته القاهرة ولطفاله الذين مجوا اسطورة « مسافر » كجواب على سؤالهم الملح لامهاتهم : اين والدنا ؟

« مسافر » اسطورة مجها من قبل ميلاد الضحى طفلي هذا المجاهد يتحرق شوقا للكفاح ، يقنات اعصار ثورته الحبيس في اضلعه ، من مجازر الهول والدماء ، انه يعيش نضال شعبه بكل جوارحه رغم جدران الصمت في مقبرة الليل .

وشهقة الاعصار في اضلعي ومرقص الاشباح من حولي اشواقنا للريح ممصورة تبحث عن خرائب الظل من كل باب مر اعصارها يقنات من مجازر الهول خلف جدار الصمت مستوحش اغوص في مقبرة الليل .

ان لفظه « شهقة » تصور حركة اعصاره المكبوت ، وعبارة « اغوص في مقبرة الليل » مع ماتوجه لفظه « مقبرة » من وحشة وصمت ، تكثف شعورنا بثقل ظلمة السجن ويتحسس المجاهد لوطانها . بقيت قصيدة « انا والبحر » التي لم تعرض لها بالنقد ، ليقيني انها ليست للنظام الذي لا يملك منها - كما اظن - سوى هذين البيتين المتعززين عن سياقها

لو تكون البحار طرا مدادا لكلامي وزادها الجو ودفا لانتهت كلها وشيكا وظلت كلماتي تفيض نورا وحفا فهو - اي الناظم - استلهم معانيها من قصيدة « الطلاسم » لايليا ابي ماضي وافرغها ، بشيء من التعديل ، في قالب اخذه عن فوزي الملعوف من نهاية ملحمته « على بساط الريح » يقول الملعوف :

واذا بي اهوى الى الارض وحدي بعد حريري اكابد رقبا يقول عمر ابو قوس :

ايها البحر كم تكابد شوقا للاعالي وكم اكابد رقبا الملعوف

يا يراعي رافقت كل حيائي فارو عني ما كان حقا وصدفا ابو قوس :

هات حدث عن الوجود قديما وارو عنه ماكان حقا وصدفا ولم نفرق في هذه الدراسة النقدية ، بين الشعر القديم والحديث لاعتمادنا انهما - وان اختلفا شكلا ونمطا - لاختلفان جوهرًا . في كونهما شعرا . والشاعر الحق هو من استطاع ان يؤثر فينا ، ان يعطينا شعرا يهزنا وله حريته في اختيار الطريقة التي يريد بها .

### حسين صعب

## حول نقد قصيدة

### بقلم حكمت العتيبي

في نقد قصائد العدد الماضي من « الاداب » تناول استاذنا الناقد قصيدتي « موسيقى الموت » التي قدر لها ان تكون ختام قصائد العدد الذي نشرت به ، بخطفة سريعة ، تمكس صجرا وارهاقا وافتعال نهاية يختتم بها الناقد نقده .

يقول الاستاذ ايليا حاوي في محاولته نقد قصيدة تعكس - ضمن حدود تجربة قد تكون بدائية وقد تكون ناضجة - حركة الموت المأساوية ووقعها في نفس الشاعر ، نحو اطفال قرية آمنين هي قرية « دير ياسين » العربية : ان الشاعر « حاول ان يلحق بركب الشعر الحديث ، فافحم عليها « القصيدة » جميع المظاهر التي شاعت عنه وتقررت فيه . وبالرغم من انه قد غلب عليها افتعال التجربة ، بالإضافة الى افتعال بعض

الصور والمعاني ، فان عصب الشاعر لا يخلو من الابداع والسعي الجدي للنهوض الى مستوى الشعر الحديث . »

وكشاعر لا يزال - على الاقل - غير معروف لقراء « الاداب » ناشئ في بداية طريقه ، لا يفيرني ان تنشر قصيدتي في أي مكان من « الاداب » . . اما ان يحكم موقع القصيدة في المجلة عليها وعلى تجربتي ، وصورها ، ومعانيها ، ومن قبيل ناقد يحاول دائما ان يبدو وكأنه يتحسس التجربة التي امامه ، ويمتصرها ، فيحكم عليها . . فامر يدعوني للتساؤل : لماذا لم يأخذ الناقد القصيدة بالتحليل ، وبالنقد تبعاً لذلك ، كما فعل في بقية قصائد العدد ، ليصدر حكمه - على الاقل - مسنودا ، غير مرهق ، ولا مضطرب ؟!

ثم مامعنى قول الناقد ان الشاعر افحم على قصيدته -محاو لاالحاق بركب الشعر الحديث - جميع المظاهر التي شاعت عنه وتقررت فيه ؟ هل يفهم من هذا ان القصيدة تعكس اول ماتمكس ، كل ماقرر في الشعر الحديث وما شاع عنه ؟! ام انها تصور شاعرها صانعا يلبس صنعتته كل مايعرف من قشيب اللباس وزاهي الثياب ؟ وفي كلا الحالتين اشعر انه من حقي على الناقد ان يكون موضوعيا وان يدعم مايقول ولو بمشال واحد !

ولن احاول الرد على بقية « النهم » التي يسقطها الحاوي من عل على القصيدة اذ يقول بافتعال تجربتها وصورها ومعانيها . . فاني ساترك له الحكم الاكيد على كل ذلك بعد ان يعود فيقرأ القصيدة . . فانه يخيل لي انه لم يقرأها جادا !

اما تقرير الاستاذ الفاضل بان عصب الشاعر لا يخلو من نبض الابداع والسعي الجدي للنهوض الى مستوى الشعر الحديث ، فانه ايضا ، يبدو لي مضطربا ، غائما « جاد به ناقدنا - ايضا - من عل

## شعر

### من منشورات دار الاداب

|                        |                       |
|------------------------|-----------------------|
| قرارة الموجة           | نارك الملائكة         |
| وجدتها                 | فدوى طوقان            |
| وحدي مع الايام         | فدوى طوقان            |
| اعطنا حبا              | فدوى طوقان            |
| العودة من النبع الحالم | سلمى الجيوسي          |
| عيناك مهرجان           | شفيق معلوف            |
| قصائد عربية            | سليمان العيسى         |
| الناس في بلادي         | صلاح عبد الصبور       |
| مدينة بلا قلب          | احمد عبد المعطي حجازي |

### دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

في محاولة موازنة نقدية ، فيها بعد عن الموضوعية ، وعن واجب النقد ، كبير .

والذي يدهل حفا ، انه يبدو ان مبدأ الحاوي النقدي لا يعتمد الا على التجريح اولا واخرا .. ولكن باساليب مختلفة . فهو يجرح الشاعر بدر السياب ، بأسلوب غير الذي يجرح به شاعرا اخر كزوارق فائسي مثلا ، عندما تعرض ، دارسا ومحملا ، لشعر كل منهما في اعداد سابقة من « الاداب » ! الا انه في تجريحه للاسماء الجديدة المبتدئة يبتكر اسلوبا فذا جديدا ، ومع الاسف ، هزيبا .. لانه يجدر بالناقد الناقد ان لا يطلق احكامه هكذا .. من عل ، وبدون ادلة او امثلة تستند مايقول !

في النهاية للاستاذ الحاوي ، وللاداب تحياتي

حكمت العتيابي

الظهران

## النقد العقائدي ايضا . .

بقلم رثيف عطايا

حاولت في ردي على نقد الدكتور سعد لشعر خليل حاوي ان اتحامي الواقعة الشخصية . ولو طلبتها لكان لي من كلام الدكتور مستندات وفيرة على النية السيئة المبينة وعلى تسيير الضمير الادبي لغراض خارجة عن طبيعة رسالته .

ولست ادري اذا كان صمت الدكتور عن الرد علي يصح ان يعد تراجعا عن موقفه المنهات الى الاخذ بدلائل الحق متى اشرك يقينها . ام انه ، لامر ما ، قد اعفى نفسه من الرد ووكله الى الاستاذ عبد اللطيف شرارة وكلفه به فقيل الوكالة وحاول ان يوفي الكليف حقه بجميع الوسائل مهما تكن غير مشروعة . ومسنندي ان كليهما يظنلان من واحد ، ويرميان بالحوول في الوجوه الخلافة الناصعة .

اما اللوم فلا يقع عليهما ، بل على « الاداب » التي الزمت نفسها منذ صدورها موقف الداعي للحركة العربية التقدمية ، ومقاطعة اصحاب المواقف الجانبية المنحرفة . وكان يكفي « الاداب » تنوعا في المادة ووجهات النظر ان تكون مجالا لصراع التيارات المتنوعة من ضمن التيارات العربي العام . غير انها لم تكتف بذلك فكانت بين الائمة والاخرى توكل مهمة النقد لنقاد ، اقل ما يقال فيهم ، انهم لا يضررون شيئا من التعاطف والخير لاسرة كتاب « الاداب » وشعرانها . وكان اجدي على الادب ان تطلب « الاداب » من هؤلاء ابداء ارائهم في مقالات مستقلة . ولكنها فعلت مالا يقره عرف او قانون ، وهو الطلب الى هؤلاء ان يكونوا نقادا متصفين بجلادين لشعرانها وكتابها . وهذه احكامهم تشهد على انهم ما فسدوا الى النقد الداخلي والتعاطف مع الاثر المنفود ، بل الى تحطيم الانار بالطارق وتطبيع اوصالها بالناجل من خارج . منهجهم واحد في الادب كما في السياسة . وغرضهم في كليهما واضح مفضوح : التحالف مع أقصى اليمين والرجعية وادعاء المحافظة لهدم الحركات التقدمية النابعة من صميم الشعب ، حتى اذا تم لهم ذلك اصبحوا وحدهم دعاة التقدم المخولين للقيادة والسيطرة . ولما كان الادب افضل وسائل النضال حملوا الى مجاله المناورات التي عرفت عنهم في مجال السياسة . ويجب ان ، في رأيهم ، ان يتشكك العرب بصدق الادب العربي الحديث الذي حمل جراحهم وافكارهم التقدمية الثورية . وكذلك يجب ان يتشكك مبدعوه بقدرتهم على الابداع والاصالة . وليس دفاع هؤلاء عن الوضوح والحكمة في الشعر العربي القديم سوى وسيلة لتكفير الشعر الحديث ورميه بالورق والزنقة . وهم يستخفون بنفسية العرب في هذا العصر ، وبخاصة نفسية الجيل العربي الجديد التي تجاوزت بتعاطف كلي مع

شعر خليل حاوي ومدت صوته صوتها ، حين يملنون ان هذا الشعر ليس عربيا . فكانهم يقولون لجميع العرب في هذا العصر لستم عربا . ومن اعجب العجائب ان ينهم الشعبي العربي بالشعوبية (1) . وبعد ، من لحن الاستاذ شرارة ان الامم لا تعبر عن ذاتها سوى تعبير واحد يابى التطور والتنوع ، وانها لا تخلص لذاتها الا اذا كبرت واجتبرت ، على مدى العصور ، ذلك التعبير الواحد الذي عرف عنها منذ اقدم العصور ؟ وهل يعد الفرنسيون شعر بودلير ، ومن تلاه من الشعراء ، شعرا مارقا غير فرنسي لانه خرج عن قاعدة الوضوح في شعر راسين وكورناي ؟ ويا ليت الاستاذ شرارة سمح للشعر العربي الحديث ببعض الفوضى الشائع في شعر شكسبير وغوته ، وهو من فضيلة المعق ، والصفاء المحض الذي يبدو غبشا متى تراكم ، اذن لما وجد في الشعر الحديث عيبا ولا نقيصة . ولن اتردد في القول ان الاستاذ حين يصم شكسبير وغوته بالوضوح يكون كمن يهرف بما لم يقرأ ولم يعرف .

وقد ترفض « الاداب » لومي لها على طلبها الى الاستاذ شرارة نقد الابحاث ، محتجة بانها وكلت الامر لصاحب اسم معروف ، وهو وحده المسؤول عما يخرج قلمه . ولكنها في رفضها قد تناسى ان الاستاذ شرارة خيب املاها واخفق على صفحاتها مرارا ، وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . تصدى الاستاذ شرارة لنقد « القصائد » في الاداب منذ سنوات ، فانهالت عليه التوبيخات من كل فج وصوب ، وكان عذره عن التسرع في الاحكام عامل السرعة وضيق الوقت . وفي عديد « الاداب » الخاص بالنقد ظهر للاستاذ شرارة مقال كان حظه التفرع والتهمك القاطع يسيل عليه من قلم الاستاذ شاكرك مصطفى . لقد ارتكب الاستاذ شرارة في مقاله ذلك خطأ التعميمات غير الجدية على النقد عند الامم . والافة نفسها تصدم العين في نقده الابحاث في العدد الاخير .

ثم ان الناقد اعتمد في حكمه التعميمي على الحضارة الاوربية بالسقوط والهلال ، مستنثيا الحركة الماركسية ، على رأي كاتب غربي ولم يتورع عن تكفيري لاستشهادي بناقدين غربيين في معرض النقاش لقضايا ادبية عامة لا تخضع لحكم البيئة والزمان .

رثيف عطايا

الجامعة اللبنانية

## ردود ثلاثة

بقلم : جورج طرابيشي

ما كنت لاكتب هذا الرد لو كان السادة الذين علقوا على مقالي عن خليل الحاوي وعلى مقالي عن « المهزومون » لهاني الراهب لم ينظروا الى قضايا خطيرة تتعلق بحياتنا القومية اكثر مما تتعلق بحياتنا الادبية .

فالاستاذ عبداللطيف شرارة - ناقد ابحاث العدد الماضي - لم ينظر الى مقالي عن « من المأساة الى الملحمة » بشيء . وعلى الرغم من ان مقالي كان تطبيقيا يعتمد على النقد الموضوعي ، فان الناقد اكتفى بالرد على الاسس النظرية التي انطلقت منها ، واعداء بانه

(1) تعليق « الاداب » : نعتقد ان الكاتب قد اشتط كثيرا في اتهام بعض النقاد بما اتهمهم به ، ونحن لا نقره بعد ذلك على ما اتهم به « الاداب » من تكليفها لاشخاص لا يضررون الخير والتعاطف لاسرة كتابها ، لان جميع من كلفوا بالنقد هم اسدقاء للمجلة والادب ، وان كان ذلك لا يمنهم من توجيه النقد الى الابداء .

تجاه الحضارة الأوروبية بمقدرة تفوق . ونحن اذا كنا نريد ان نتخلص من عقد النقص ، الا اننا نؤكد ان عقد التفوق لا تقل خطرا عنها . واذا كانت عقد النقص تضرب علينا جوا من اليأس والالافاعلية ، فان عقد التفوق تضع على ابصارنا فناعا ذهبيا كاذبا يمنعا من رؤيتنا حقيقتنا وحقيقة واقعتنا . وانا اقول للاستاذ شرارة : اذا كانت اوربا منحطة لانها اقامت اسرائيل ، فما شاننا نحن اذا كنا قد سمحنا بان تقوم اسرائيل في قلب بلادنا ؟ شيء جميل ان نلقي تبعه اخطائنا على غيرنا ، لكن الا تكون بذلك كالنعامة التي تدس رأسها بين الرمال فتظن ان العالم بخير ما دامت لا تراه ؟

اما الدليل الثاني على انحطاط اوربا في رأي الاستاذ شرارة فهو تمسكها بمصالحها الاستعمارية . وهناك نجد الاستاذ شرارة يقع في خلط مريع . اذ يبدو انه لا يملك اي معلومات عن الظاهرة الاستعمارية وعن اسباب نشوتها وتطورها . ولو كان يملكها لما حاول ان يجعل اوربا بجميع طبقاتها الشعبية مسؤولة عن الاستعمار. بل على العكس ، فكما ان الاستعمار يسيء الى شعوب اسيا وافريقيا ، فانه يسيء ايضا الى الشعوب الأوروبية وخاصة الطبقات الكادحة منها ، لان الطبقات البورجوازية الأوروبية الحاكمة تستخدم الاستعمار لا كوسيلة لدعم مصالحها في الخارج فحسب ، بل في الداخل ايضا . فتأثر الاستعمار الهدامة لا تنعكس على الشعوب المستعمرة (بالفتح) فحسب ، بل تمتد ايضا الى البلدان المستعمرة (بالكسر) ، واكبر دليل على ذلك ما يسببه الاستعمار الفرنسي للجزائر من مشاكل واضطرابات لفرنسا نفسها . وقد ادرك اليساريون الأوروبيون هذه الحقيقة ، لذلك نجد الصادقين يرفعون صوتهم عاليا ضد الاستعمار ، ولوعيم ان هذا الاستعمار يهدد شعوبهم كما يهدد شعوب اسيا وافريقيا على حد سواء .

انا لا انكر ان الطبقات الأوروبية الكادحة ، وبتميم اعم ، الشعوب الأوروبية ، غير مسؤولة عن الاستعمار . لكنها مسؤولة عنه بقدر ما لم تستطع ان تقضي عليه وتتخلص من الطبقة البورجوازية التي هي السبب الرئيسي والمباشر لوجوده .

ونجد الاستاذ شرارة يرتكب الخطأ نفسه عندما يقول ان اوربا قد تنكرت للمبادئ الاستعمارية في حياتها الداخلية وعملت على نشرها واستغلالها في سلوكها الخارجي . وهذا غير صحيح . انها ليست اوربا التي تفعل ذلك بل الطبقة البورجوازية الحاكمة فيها . ولكن من الصحيح ايضا ان الطبقة البورجوازية الأوروبية تنصرف في الداخل بشكل ، وفي الخارج بشكل اخر . ان سلوك الطبقة البورجوازية هو ، سواء كان في الداخل ام في الخارج .

انه سلوك طبقة مستقلة تستغل الشعوب الاخرى عن طريق استعمارها وتستغل شعوبها بالذات عن طريق حكمها حسب مصالحها الرأسمالية .

انني لاحمر خجلا اذ اضطر للتذكير بهذه الحقائق الاولى التي يعرفها ويقرها كل من لم يكن يمينيا في تفكيره . لكن ما العمل ما دام الاستاذ شرارة يرغبنا على التذكير بها ؟

...\*

ولانتقل الان الى التعليق الثاني عن مقالي عن خليل حاوي وهو للسيد حسين علي صعب . فهو يطالبني بان ادرس ثقافة الشاعر كي استطيع ان افهم رؤياه . وانني لاتسائل : ما هي هذه الثقافة التي يطالبني الاخ الكريم بان ادرسها ؟ وما هو مفهوم الثقافة لديه ؟ اذا كان يعني بالثقافة كمية معلومات ، فاني اقول في صراحة انه ليس من واجبي ان اقوم بجرد لثقافة الشاعر . اما اذا كان يعني بها طبيعة رؤيا الشاعر ومناحي تجربته فاني اقول : وهل في مقالي غير تحليل هذه الرؤيا حسب امكانياتي المتواضعة ؟

في الحقيقة ، انني لم افهم شيئا مما كتبه السيد حسين علي صعب ، وقد عرضت كلمته على عدد من الاصدقاء هموموا منها ، مثلي ما يريد ان يقول .

سينالشي « التفاصيل التطبيقية » فيما بعد ، وهذا ما لم يفعله مع الاسف ، ومن هنا استطيع ان اسجل الملاحظة الاولى وهي ان الاستاذ شرارة لم يؤد المهمة المطلوبة منه ، وهي نقد ابحت العدد الماضي ، بالنسبة لبحتي على الاقل .

ثانيا - كانت النتيجة التي وصل اليها الاستاذ من مناقشته النظرية هي : « ان الشعر الحديث لا يمت الى ارضنا ولا الى سماننا ، ولا الى ترائنا بنسب او علاقة » وهو « كلام مترجم عن لغة اخرى ، ولا اجد له نكهة غير نكهة الترجمة الحرفية » .

وبالطبع انا لا استطيع ، بعد كل ما كتب من الشعر الحديث ، ان ارد على هذه التهمة ، لانني بذلك سافصيح وقتي ووقت القراء . ومن الواضح ان الاستاذ شرارة يعيش في واد ، والمثقفون العرب يعيشون في واد اخر ، والا لما اذان الشعر الحديث كله ، دفعة واحدة ، هذه الادانة العامة .

ثالثا - لم يكتف الاستاذ شرارة باتهام الشعر الحديث بالمعجمة والاجنبية ، بل اتهمه ايضا بانه شعر منحط ، فهو «سوى ظاهرة من ظواهر الانحطاط الذي اخذت تمر به اوربا ، ولا تزال تحيا في جوه ، وتتقلب في مناخه ، وتنشق هواءه ، ولا تملك ان تراجع عنه ، او تصد تياره » . ونحن قبل ان نناقش اراء الاستاذ شرارة عن انحطاط اوربا ، نود ان نسأله : وما علاقة شعر خليل الحاوي بجو الانحلال والانهيار ؟ ولكن يبدو ان الاستاذ شرارة لم يفهم مقالي ولا شعر خليل الحاوي ، او انه قراهما ، على اقل تقدير ، من خلال وجهة نظر مسبقة لا تستطيع ان ترى في الشعر الحديث الا انحلالا وانهيارا . فقد قلت في نهاية مقالي عن خليل الحاوي انه شاعر البعث العربي الاول . كما ان نتيجة الصراع الذي خاضه الشاعر كانت :

اخريسي يا بومة تفرغ صدري

بومة التاريخ مني ما تريد ،

في صناديقي كنوز لا تبديد :

فرح الايدي التي اعطت

وايمان وذكري

ان لي جمرًا وخمرًا

ان لي اطفال اترابي

ولي حبهيم خمر و زاد

من حصاد الحقل عندي ما كفاني

وكفاني ان لي عين الحصاد

يا معاد الثلج لن اخشاك

لي جمر وخمر للمعاد

فكيف تنهم مثل هذا الشعر انه مشبع بجو الانحلال والانهيار ؟ بل كيف نستطيع ان نربطه بازمة الحضارة الأوروبية ان كنا نزعم ان اوربا تعيش في جو من اليأس والخراب كما يحلو للاستاذ شرارة ان يؤكد ؟ انا لا اكنم ان الجو الشائع عند الشعراء الأوروبيين هو جو قائم ويائس . لكن الم نجد ان خليل الحاوي يرفع صوته عاليا ضد « كهوف العالم السفلي من ارض الحضارة » ؟ فكيف نلحقه بعد ذلك بسلسلة الشعراء اليائسين ؟

كلا . انا واثق ان الاستاذ شرارة لم يتعمق شعر خليل الحاوي، لانه لو تعمقه لادرك انه شاعر ضد اليأس قبل كل شيء ، وان كان يختار اليأس والرفض متطلقا .

رابعا - ولعل هذه النقطة هي اخطر نقطة في مقال الاستاذ شرارة . فهو بعد ان يمضي في تحليل « انحطاط » اوربا يقول : « اما دليلنا نحن الشرقيين على انحطاط اوربا ، فانه مائل في ناجيتين الاولى انشاؤها اسرائيل . . والثانية تشدها في الاحتفاظ بمصالح وامتيازات جائزة تنكرت لها في حياتها الداخلية وعملت على نشرها واستغلالها في سلوكها الخارجي » !

قلت ان هذه اخطر نقطة في المقال ، لانها تمس حياتنا القومية مباشرة . اذ يبدو ان بعض المثقفين العرب قد استبدلوا عقدة النقص

هذا مثال اول ، اما المثال الثاني فاخذته من مناقشة الناقد لاراني عن ذهنية ابطال الرواية ، فهو يقول : « ترى الا يتناقض ( ايا انا ) مع نفسه ؟ الم يقل ان ليس لدى الكاتب وسيلة الا الخطب ( لتقديم شخصية البطله سبحانه ) بينما قال سابقا « انها - اي شخصية سبحانه - تتكشف لنا من خلال اذهان الاباطل الاخرين او من خلال المناقشات الفكرية الباردة ، او من خلال الالسنه التي تريد ان تال من سمعتها » ... ترى ليست هذه « وسائل اخرى غير الخطب ، يملكها هاني الراهب لكشف شخصية سبحانه » ؟ ، كما يضيف الناقد : « ليس الحوار تصرفا ، ليست الحركة تصرفا . »

بمثل هذه الاستهجمات ، يريد الناقد ان يظهر تناقضي . حسنا ولكن يا سيد كمال ابو ديب : اين التناقض في كلامي هذا ؟ لا شك في انك فهمت ان الخطبة هي ذلك الكلام الطويل الذي يلقي من على منبر . ولكن كان واضحا من كلامي عندما قلت ان هاني الراهب لا يملك غير الخطب ليكشف لنا بها عن شخصية سبحانه ، انني اعني بالخطب الوصف الذي نتلقاه من اذهان الاخرين ، او من خلال المناقشات الفكرية الباردة ، او من خلال الالسنه التي تريد ان تال من سمعة سبحانه . لقد قصدت بتعبير الخطبة اذن كل نثر يخلو من الحركة سواء كان هذا النثر خطبة حقا ام مناقشات باردة ام وصفا خطيبيا . ولهذا قلت : « ان شخصية سبحانه لا تتكشف لنا من خلال الحدث ، بل من خلال الحوار » . وعينت هذا الحوار على انه « الحوار الفكري الصرف » ، اي الذي يخلو من الحركة . نعم ، ان الحوار تصرف ، لكن عندما يكون حوارا حقيقيا ، اي حركة ، وهذا ما افتقدته في حوار هاني الراهب .

لقد كتبت حتى الان مقالات عديدة عن « المهزومون » ووجد من قال عنها « انها قمة فنية تنبيه ان عبقريا قد ظهر » ، وقارنها اخر برواية « الصخب والصف » لكوثر ، وتحدث كثيرون عن ازمة الجيل التي تمثلها . حسنا ! لقد قلت رأيي فيها ، وحاولت قبل ان احل ما تريد ان تقوله ، ان اتساءل هل هي رواية حقا ؟ وانني لمره اخرى اؤكد : هل هي رواية حقا ؟

وبعد ، لقد قلت في مطلع ردي انني ما كنت لاكتب ما كتبته لو لم يكن السادة المناقشون قد اتاروا قضايا خطيرة تتعلق بحياتنا القومية لهذا فاسمحوا لي ان انقل لكم هكا المقطع من تعليق السيد كمال ابو ديب الذي دفعني الى الرد . لقد قال : « اما عن رايه ( اي رأيي انا ) في ان ازمة بشر ازمة جنسية قبل كل شيء .. فيكفي ان اقول انه اجرم بحق « المهزومون » وبحق جيلنا باكماله .. لان ازمنا يا عزيزي ليست ازمة جنسية بقدر ما هي ازمة وجود ضائع .. وشباب بلا قضية .. ولا نبي جديد .. ولا ايمان .. ولا قيم انسانية .. ولا مجتمع يفهم ازمنا الحقيقية »

انا لست ممن يحبون الاستذة الاخلاقية . لكن اذا كان هذ جيلكم حقا يا سيد كمال ابو ديب ، فاني افخر بان اجرم بحقه . لان جيلا بلا قضية هو اصلا جيل لا حق له لنجرم ضده . واذا كنت من شباب بلا قضية ولا قيم انسانية ، فلماذا تكتب ؟ وهل يكتب الانسان الا ليدافع عن قضيته ؟

حقا يا سيدي ان ازمنا ازمة وجود ضائع . لكنها ازمنا انت وحدك فقط ، لا ازمة جيل باكماله . فانا ايضا شاب ، ولعلني اصغر منك سنا ، ولكني لم اصادف احدا ابدا ممن يتحدث عنهم ، اللهم الا من بين اولئك الذين « لا يملكون اياما بانسة » على حد تعبير الصديق زكريا تامر .. انا ايضا من عمرك ، يا سيدي الناطق بلسان الضامنين ، لكنني من جيل ربما لم يكن قادرا على تحقيق ما يريد ان يحققه ، ولكنه واثق ، على كل حال ، مما يريد ان يحققه !

جورج طرايشي

دمشق

اما اتهامه لي بانني حلت بعض القصائد « دون تعمق او جهد » ، فهذا رايه . وانا لا استطيع الا ان احترمه . واما ان يزعم ان تحليله الذي كتبه عن قصيدة « البحار والدرويش » هو التحليل الذي يتوفر فيه التعمق والجهد ، فانا لا استطيع الا ان ارفض ذلك . ودليلي على ذلك بسيط هو انه لم يفهم القصيدة لانه لم يفهم الرمز الاساسي فيها ، رمز البحار ، لانه قال ان البحار « يمثل الانسان الضربي المغامر بحياته في سبيل اكتشاف المجهول والحصول على المعرفة العلمية » . في حين ان البحار ليس الا الشاعر نفسه ، الشاعر الذي هرب من الغرب الى الشرق على يجد فيه الحقيقة التي لم يجدها هناك . ولو اتبته الاخ الكريم الى مقدمة القصيدة النثرية لادرك ذلك . فالبهار ليس غربيا يغامر بحياته في سبيل المعرفة العلمية ، بل هو الشاعر الذي يس من الغرب بعد ان « طوف مع يوليس في المجهول ، ومع فاوست ضحى بروحه ليفتدي المعرفة ، ثم انتهى الى الياس من العلم في هذا العصر ، تنكر له مع هكسلي .. فابحر الى صفا « الكنج » منبت التصوف . ولكنه « لم ير طيف ميت هنا ( في الشرق ) ، وطين حار هناك ( في الغرب ) ، طين بطين !! »

✱

ولانتقل اخيرا الى تعليق السيد كمال ابو ديب على مقالتي عن « المهزومون ومشكلة التنكيك » . لقد ناقشت في مقالتي ذات مشكلة الاخطاء التنكيكية في رواية هاني الراهب ، وحاولت ان ابعد عن التجريد والنظريات فاتيت لكل ما اعتبرته خطأ بشاهد من الرواية . وقد يكون لغيري رأي اخر في الرواية . ولو اردت ان ارد على كل ما جاء في تعليق السيد كمال ابو ديب لاستغرق مني ذلك وقتا طويلا ، وقتا لا اضمن به على نفسي اضمن به على القراء ، لانني سأضطر الى الاستشهاد من جديد بكل الاخطاء التنكيكية التي ذكرتها والتسي لا ارى فائدة من تكرارها . ولهذا اكتفي ان اخذ مثالين عن طريقة مناقشة السيد كمال ابو ديب للاخطائي .

فهو يخصص اكثر من ربع مقاله ليثبت انني لم افهم الرواية . اما لماذا لم افهمها ، فلانني ، حسب رايه ، قلت ان مشكلة البطل فيها مشكلة جنسية ، مع ان الرواية في الحقيقة « قصة جيل كامل .. جيل رافض ، حمل صليبه وهو واثق من ان رفضه سيجعل منه جيل الذبيحة » ، والان لتترك الكلمات الكبيرة ، ولنحاول ان نفهم ما قلته انا حقا ، لا كما حرف الاخ الناقد عني ، لقد قلت بالحرف الواحد « ماهي « المهزومون » ؟ انها تحاول ، كما هو واضح من العنوان ، ان تكون قصة جيل ، جيلنا الشاب ، المثقف ، الجامعي ، الذي يريد ان يعتبر المجتمع صفرا حتى يستطيع ان يعيش حياته بكل عمقها ، دون ان تحده التقاليد البالية التي هي ، في مجتمعنا ، من مخلفات القسرون الوسطى » .

هذا ما قلته بالحرف الواحد . فكيف يزعم السيد كمال ابو ديب بعد ذلك ، انني لم افهم الرواية ، لانني لم افهم انها « قصة جيل » ! في الحقيقة ، لقد اكتفى الاخ الناقد بتقطيع مقالتي كما يحلو له ، ولم يحاول ان يربط افكاري التي ناقشها بسياقها . فلقد تحدثت حقا عن المشكلة الجنسية عند البطل ، لكنني قلت بالحرف الواحد ايضا ، بعد المقطع السابق : « هذا الصراع بين جيلنا الشاب والتقاليد ، حاول هاني الراهب ان يعبر عنه بقصة الحب التي ربطت الطالب الجامعي « بشر » بالطالبة « سبحانه » ..

اذن انا لم انكر ان « المهزومون » تريد ان تكون « قصة جيل » .. لكنني حددت بانها « تحاول ان تكون قصة جيل » وان هاني الراهب « حاول ان يعبر عن ذلك بقصة الحب » ولقد كررت فعل « حاول » مرتين عن قصد . وكنت اعني بذلك ، وهذا رأيي ، ان الرواية لم تستطع ان تكون قصة جيل ، وان هاني الراهب لم يستطع ان يعبر بقصة الحب عن قصة جيل .